



## مدن الالهة في العالم القديم

### مقاربة دلالية و طوبونيمية

## The Gods Cities In the Ancient World semantic and toponymic approach.

Yugurtha Haddadou

يوغرطة حدادو،

gmail.com

جامعة الجبلاي بونعامة خميس مليانة، عين الدفلى

<sup>1</sup> أستاذ محاضر "ب"

squareportsaid3@

تاريخ النشر: 2022/06/08

تاريخ القبول: 2023/05/31

تاريخ الاستلام: 2022/11/12

### ملخص:

لقد طغى الفكر الديني لدى المجتمعات القديمة في حوض البحر الأبيض المتوسط وبلاد الرافدين على حد السواء، حيث لم يقتصر اثره على الحياة الاجتماعية بل تعدى مجاله حتى في فكرة تأسيس المدن التي ارتبطت أساسا هي الأخرى بالآلهة التي قدست بمكان، هذا المكان هو الآخر تميز بخصوصياته، لقد كان في فكر هؤلاء، منبعا في تشكيل صور القداسة، اذ شهدت قيام بها معابد للإله، مما سمحت في استقرار الانسان حولها وممارسة نشاطاته الاقتصادية والاجتماعية مقابل دفع " نذر" لهذه الالهة بغية التماس رضاها، فكان الوازع الديني هو المسيطر والأساس في تسيير الحياة اليومية و لقد عوت الكثير من المدلولات الأونوماستيكية التي تحملها أسماء المدن في بعدها الطوبونيمي، صفة القداسة في اشكالها المختلفة مثل بيت الحرام (مكة المكرمة)، القدس (فلسطين)، قاديس (اسبانيا) و بيت- ايل في العديد من الأماكن للشرق الأدنى القديم وحتى في الفضاء المغاربي القديم و اكدتها الاعمال الاثرية في المواقع المعروفة بالفضاء السامي اين شهدت انتشارا للمعابد في أماكن حظيت آلهتها بذلك التقديس المبجل على غرار مدن بابل و اوجاريت و خاصة جبيل التي استقطبت حجاجا لها قادمين من ارض كمت (مصر).

كلمات مفتاحية: المدينة، وادي الرافدين، طوبوغرافية، التاريخ القديم، بوليس، كيفيتاس، مدينة الله، بعل، بيت-ايل و النقيشات السامية.

**Abstract:**

The religious thought constituted during antiquity the two worlds of the Mediterranean and Mesopotamian shores, had impregnated not only daily life but at the same time it shaped the characters and symbolic forms where the cities of the ancient world were constituted. These cities always had roots which depended on the nature of the place itself (topographic) and by extension these elements were also reflected through its names (onomastic), thus this semitic repertory informs us about this physiognomy under known names like « Gades, Cadis, Bit-El », as well as the temples erected inside these cities like Babel, Ougarit and Byblos.

**Keywords :** Medina, Mesopotamia, Topography, Ancient History, Polis, Civitas, City of God, Baal, Bethel and Semitic inscriptions

**Résumé :**

A travers l'histoire des sociétés antiques de la méditerranée, il apparait que la pensée religieuse n'avait pas imprégné seulement la vie quotidienne des individus, au double plan spirituel et socio-économique, mais elle a été le précurseur et l'élément primordial, dans la constitution des anciennes cités connues jusqu' à aujourd'hui. Le signalement par les archéologues de la présence des temples au sein même de ces villes, laisse à penser que les dieux avaient une part déterminante dans la constitution de ces cités, d'autant plus que la manifestation de ces mêmes dieux dans des endroits bien déterminés, a donné à ces lieux une forme de sacralité, dont on trouve les traces sous les formes de « Loci genius », ce qu'a révélé l'archéologie et les textes classiques, les a aussi confirmé les études onomastiques, surtout sur le plan toponymique, dont elle nous a laissé beaucoup d'exemples de noms de cités à l'instar de : Cadis (x), Babel, Ougarit, Jerusalem, Byblos et Mekka, dont leurs étymologies, portent ces mêmes significations de sacralités.

**Mots clés :** Cité-pensée religieuse-Méditerranée- temple-dieux-onomastique-sacralité

من المظاهر الحضارية التي تجلت عند المجتمعات القديمة سواء في الحيز الرافدي او الميزوبوتامي و سواحل البحر الأبيض المتوسط، انتشار المدن و مراكز استقرار و "تجمع" السكان المتسلسلة، في مواقع اختيرت حسب مميزات الطوبوغرافية و أهميتها الاستراتيجية و تأسست كذلك بدافع الحاجة عندما اجتمع فيها الحرفيون و المزارعون و التجار من اجل مقايضة بضائعهم فكانت الدوافع الاقتصادية هي الاولى ثم تطور مضمون هذه المدن لما زاد ثرائها في استقطاب عناصر أخرى خارجية فكانت المدينة هي الوعاء التي احتضنت فسيفساء من الثقافات، اذ نجد فيها عناصر تنتمي الى نفس العنصر الاثني الواحد و اخر غير متشابهها حملت في طياتها عاداتهم و ثقافتهم الخاصة بهم إلا ان هذه الثقافات لما صقلت قدمت نمطا سماه الأنثروبولوجيون بالتحديد الثقافي . *Le déterminisme culturel* ، فلم يكن هذا التميز بين الثقافات عائقا في اسهامها الحضاري بل ربطت علاقات اجتماعية و ثقافية و في بعض الأحيان تعدت هذه العلاقات حيزها الجغرافي لتشمل مناطق أخرى مما أدى في نهاية المطاف الى تحول هذه المدن - النواة الى امبراطوريات.

هذه الظاهرة تحدثت عنها سجلات التاريخ عندما تطرقت الى مدن امتازت بخصوصياتها ومعالمها ولعبت دورا رائدا في النقلة الحضارية التي عاشتها الإنسانية في خضم المخاض الحضاري الذي بدأ منذ فجر التاريخ ولا غرابة ان أقدم المدن من الناحية الاثرية قد ظهرت في المشرق الأدنى القديم، الذي كان جل نشاطها اقتصاديا وتجاريا، حيث العديد منها كانت في البداية عبارة عن مخازن لتكديس البضائع مثلما توضحه مدينة ماري ( Parrot, 1937, p. 54) الواقعة في الضفة الغربية لنهر الفرات و التي كانت معبرا لمفترق الطرقات التي تأدي بين العالم المتوسطي و اسيا الى الهند، و قد عثرت البعثات الاثرية اثناء عمليات التنقيبات على معبد الالهة عشترت و حلب و المدن الكنعانية وكذلك المدن الساحلية المتوسطية على غرار اوجاربت وصيدا وصور على سبيل المثال. سرعان ما تحولت هذه المدن، لما ازدهرت من الناحية الاقتصادية و تميزت بطابعها التجاري *Villes mercantiles*، الى مدن -دول بقوانينها، استقطبت الكثير من العناصر الثقافية لتأسس بعدا جديدا لمفهوم المدينة و مثال مدن-دول الاغريقية التي عرفت من خلالها ظهور نظام سياسي لم تعرفه الأمم من قبل و المتمثلة في "ديموقراطية المدن الاغريقية"، التي ما فتئت ان وضعت الركائز الأولى في بناء نظاما سياسيا خاصا بالمدينة و على اثره نشير الى ديموقراطية " أثينا" و نشير كذلك الى " امبراطورية اسبرطا" التي استحوذت على العالم الاغريقي منذ القرن الرابع قبل الميلاد، بالإضافة الى هذه العناصر الاقتصادية و السياسية التي قامت عليها المدن القديمة، فانه ثمة عنصر ثالث اشتركت فيه كل المدن اثناء تشكلها عبر العصور، الا وهو موضوع "الوازع الديني" الذي صقلت به هذه المدن و اضفى لها بعدها "الروحي" ولم ينظر اليه معظم الباحثين رغم أهميته بالمكان لأنه هو الذي يمنح للمدينة فلسفتها و مبادئ قوانينها من خلال الهتها و معابدها، فلا نجد مدينة دون الهها المحلي او "الوطني" الذي يضفي عليها خصوصياتها، فنجد مدنا

تحمل أسماء الهتها على غرار: بابل ، ايروشليم، راع-مسيد، قرت-الي، مدينة شمش او مدنا " نذرت " من اجل اله خاص مثلما تحلت بها مدن صيدا و جبيل و صور و شرشال، فمن خلال هذا التصور ما هي أصول هذه المدن -الالهة في التاريخ القديم و كيف كانت اليات قيامها و لماذا توسع نطاقها في أماكن عديدة من العالم القديم ؟

### 1-بداية قيام "المدينة" في التاريخ القديم:

ان مدلول اسم " المدينة" يتوقف حسب التصور الجماعي التي تنسجه الجماعات من خلال منظورها الثقافي والحضاري وهو مرتبط كذلك بنوعية العلاقات بين تلك العناصر بهدف المصلحة العامة والمشاركة، شرطان اساسيان في قيام أية مدينة في التاريخ القديم وما وصل اليها من تفرع مفرداتها عبر التاريخ توضح بصفة جلية تطور مدلولاتها حسب الصياغات اللفظية التي تداولت في مكان او إقليم جغرافي معين، فاذا نظرنا الى الإرث اللغوي التاريخي عند الاغريق واللاتين تظهر هذه الصورة في عدة اشكال التالية:

-في اللغة الاغريقية و اللاتينية: بوليس Polis، بوليس Poleis (بصيغة الجمع) هي عبارة عن مدينة-دولة، تجمع فيها عدد معتبر من المواطنين احرارا ومستقلين، هذا المفهوم يقترب للذي يورد عند اللاتينيين -كيفيتاس Civitas - وهو الاسم الذي يطلق لسكان المدينة و - اوربس Urbs - كمصطلح للمدينة، بحيث ارتبط مفهوم المدينة في كلتا اللغتين بعنصر " المواطنة" الذي هو لب المدينة و يطرح كذلك قاموس -جافيو(Gaffiot , 1934, p.710) - هذا التقارب بين هاتين المفردتين، المحصورتين في عامل المواطنة، حيث نجد الشرح التالي: " هو مجموع المواطنين الذين يشكلون المدينة"، فالأصل هو وجود اجماع بين زمر من الناس يقطنون في مكان محدد، أصبحت ظاهرة تقارب مساكنهم وامتداد حيزها هي العوامل التي اخذت صفة المدينة، هذا من جهة، اما من جهة أخرى، يذهب نفس القاموس الى ذكر من عادات الاغريق واللاتين كتم اسم المدينة التي يسكنون فيها اثناء احاديثهم، حيث كانوا يكتفون فقط بذكر مفردة "المدينة" وهم يقصدون بها المدينة الأولى او القديمة" او الى "المدينة-الام" على غرار مدينتي - اتينا - و-روما-اللذان تعتبران بهذا المفهوم -مدينة قطب-Metropole.

- اما في العالم المشرقي فان شكل المدينة الأولى قد بينتها الاثار التي زخرت بها مناطق الشرق الأدنى القديم وبلاد الأناضول بحيث كل المعطيات التاريخية لها تصب الى الاعتقاد بقدمها خاصة في مناطق نموذجية المتمثلة في مدن بلاد الرافدين منذ أواخر الالفية الرابعة وبداية الالفية الثالثة قبل الميلاد و مدن بلاد كنعان منذ عهد البرونز القديم وما ميزت هذه المدن تسلسل انتشارها ونمط اشكالها حيث نجد معظم اشكال هندستها محاطة بأسوار دفاعية.

## 1-1 الوازع الديني في تأسيس المدن:

ما يجب ان ننوه في هذا البحث، ان الدراسات التي اهتمت بتشخيص مفهوم المدينة لها مسار طويل بين دارسي تاريخ نشأة الحضارات وبدايات تشكل المجتمعات التي نسميها حاليا " المدنية" بل تفرعت هذه الدراسات في مضامينها الى نوعين:

1- دراسات افقية، اهتمت بتطور مفهومها الاصطلاحي وحدودها الجغرافية وقدرة استيعابها للسكان؛

2- دراسات عرضية، انصبت في تحديد العوامل التي تتدخل في تأسيس اية مدينة فأخذت في هذا الإطار المدن الرافيدية كمقياس لاستنباط العناصر التي تقوم على إثراء المدينة، لكنه وفي نفس الوقت ترى بعض الآراء ان هذه المعايير لا تتوافق مبدئيا مع الأسس التي قامت عليها المدن الساحلية للشرق الأدنى القديم (المدن الفينيقية/ الكنعانية أساسا) التي كانت، من خلال استغلال الحيز الجغرافي، محدودا مقارنة بتلك التي ظهرت في وادي الرافدين وهذا الذي نوه اليه - دي ميروشيبي بيار- (De Miroshedji, 2013, p.128) في بداية مقاله، حيث ظروف قيام اغلب باقي مدن المشرق الأدنى القديم كانت مخالفة بالتي ارتكزت عليها مدن وادي الرافدين.

غير انه ما نلاحظه من خلال بعض بقايا لأساطير نشوء المدن و الكتابات النذرية السامية وجود عاملا جوهريا يوحد بين هذه المناطق الجغرافية الذي تمثل في "ظاهرة الوازع الديني" في انشاء مدن المشرق الأدنى القديم بصفة عامة، لان تفكير هذه المجتمعات مثل باقي المجتمعات المماثلة كان قائما على التصور الديني بالدرجة الأولى وقابله في نفس الوقت البعد الاقتصادي والاجتماعي في تأسيس اية مدينة ونماذج على ذلك كثيرة فاذا انطلقنا من هذه المسلمة نجد انه تقريبا كل تاريخ مدن الحوض الأبيض المتوسط زخرت بمفاهيم وتصورات اسطورية -دينية على غرار مدينة روما وأثينا واسبرطا وكل مدن العالم الكلاسيكي ونجد أيضا الصورة نفسها مطابقة للأصل في العالم المشرقي بكيفية انها تكون أكثر وضوحا ودلالة من سابقتها. الأکید كذلك ان هذه الصورة لم تندثر مع ظهور الديانات السماوية من اليهودية والمسيحية والإسلامية، بل كانت فكرة القداسة لبعض المدن في العالم المتوسطي ظاهرة تاريخية نقلتها لنا العديد من النصوص بل ذهب الاعتقاد الى ان المدينة تخضع لقانونين الأول مادي، وضعي والاخر روحي وديني وهذه الأبعاد لخصها القديس اغسطين الهيبوني في القرن الخامس الميلادي في كتابه الشهير "مدينة الله" (Moreau, 1854)، حيث اعتبرها من الناحية الفلسفية ان كل المدن التي أسسها الانسان تخضع الى قانون الزوال و الاندثار بسبب المطامع الدنيوية و لا ننسى ان القديس اغسطين قد عايش سقوط مدينة -روما - في 410 م على يد قبائل الفيزيقوط Wisigoths و كان محتوى كتابه الذي اشرنا اليه يتوقف على تبيان نقائص المؤسسات التي تركز عليها المدينة و على المسائل التي تختص بها المدينة الفاضلة، اما المدينة التي تخضع الى القوانين الدنيوية و الإلهية فهي

المدن العادلة التي تتوقف في قيامها على العناصر الأخلاقية. من هذا المنطلق، ما هي العناصر التي توقفت عليها المدينة في قيامها؟

## 2 العناصر الأساسية التي تقوم عليها المدينة:

في هذا المستوى من المقارنة، ارتأينا ان نعدد بعددين أساسيين، ساهما في اعتقادنا على الأقل في بدايات تأسيس المدن الا وهما:

### 1-2 البعد المكاني:

ان انشاء اية مدينة يترتب توفر عدة عوامل لدوامها على الأقل طبيعة المكان والمناخ وإرادة الانسان، الم يرى في هذا الشأن الجغرافي - فيدال دولباش-(Claval P. 1988, p.390) ان خصوصية المناخ المتوسطي ساهم في استقرار الانسان على حواف الحوض وهذا يجرنا الى التساؤل عن اسبقية قيام المدن هل كانت في البداية مدن ساحلية كما يتبين ذلك على ضفاف سواحل المتوسط ام كانت مدنا داخلية قريبة الى نقاط وجود الماء و الأنهار مثلما توضحه مثلا المدن المصرية و الرافدية، فالأكيد انه عندما تشكل جماعات الناس، همهم الوحيد البحث عن القاسم المشترك الذي هو "الأرض" الذي يجمع هذه العناصر في مكان او إقليم مؤهل يسمح لهم ممارسة نشاطاتهم التي هم فيها عارفون، مهما كانت طبيعة الارض.

تجلت هذه القواعد التي توقفت عليها المدينة عند المؤرخين والجغرافيين القدامى، ابتداء من هوميروس وهيرودوت وسترابون وبلينيوس الذين تطرقوا في كتاباتهم بوصف خصوصيات المدن الكبرى التي زاروها او سمعوا أحاديث عن نشوئها ولان تكوينهم الأساسي كان تاريخيا إلا انهم، وفي نفس الوقت، أدركوا أهمية العناصر الطبولوجية التي تقوم عليها المدن، فكانوا كذلك في هذا المستوى جغرافيين على حد السواء؛ هذه النظرة لها تاريخ في حقل الفلسفة الاغريقية منذ الجغرافي - اراتوستان Erathostene-، بحيث كان عامل رسم المدينة على الخريطة من البدهيات في تحديد الأماكن الجغرافية و الأقاليم وكذلك في تسمية شعوبها وقد لخصها مينوندر اللوديكي Menandre de Laodicée - عندما ادرج تصنيفا في مدائحه، الشروط الموضوعية التي تتوقف عليها حتى تأخذ صفة -اسم مدينة-: كطبيعة موقعها، لون مناخها، قربها للبحر، وجود اسم مؤسسها والتعرف على أسباب قيامها ثم طبيعة شعبيها و معرفة سلوكياته بمعنى الاطر المنظمة للعلاقات السياسية و الاجتماعية و الحضارية و الدينية التي تتفق عليها هذه الجماعات.

### 2-2 البعد الروحي:

الكثير من المدن القديمة المنتشرة على ضفاف السواحل المتوسطية، تحمل منذ نشأتها دلالات صفة القداسة، فاذا كان العالم السامي-الحامي قد اصطبغ هذا الحوض منذ أكثر من الالفية الخامسة قبل الميلاد و معه ديانات الشعوب فان هذه الاثار للمفاهيم الدينية قد استمرت في اشكالها الاونوماستيكية او في اسمائها الطوبونيمية.

فاذا استدلنا بمجموعة من العينات سواء في الجهة الشرقية او الغربية للمتوسط (بغض النظر عن العالم اليوناني - اللاتيني)، فانه تصادفنا تسميات تحمل إشارات على ان هذه المدن قد قامت تعظيما لإله (او لآلهة) للكثير من المدن، يمكننا ان ندعم طرحنا بجملة من أسماء المدن التي أردنا الإشارة إليها: بيت -شمش مدينة كنعانية، نسبة للإله شمش الذي ذكر كثيرا في نصوص الانجيل وعرف مثيلا له بمصر باسم " راع-سعا" أي " ابن الشمس او مدينة -الشمس المعروفة بـ" هيلوبوليس - باللغة الاغريقية وهي ترجمة للكتابة الفينيقية التي عثرت بمصر تشير على وجود هذه المدينة بصياغتها الاصلية " قرت -شمش" (Bonnet, 1989, p.98) وهي التسمية التي نجدها كذلك بالقرب من السواحل الأطلسية على شكل " مقم-شمس" بالقرب من مدينة ليكسوس/لعراش حاليا؛

-بيت -دجون، نسبة الى الاله دجون الذي انتشرت قداسته بين سواحل عسقلون الى غابة الكرمل بلبنان ( Pouilloux, 1979)؛

-بيت -انت، نسبة الى الالهة انت والذي يمثل الاسم الثاني للإلهة السامية المعروفة بعشترت. كما نلاحظ كذلك، ان الكثير من هذه المدن تحتوي على معابد لآلهة، هذه الأخيرة تمثل بمثابة "الراعية" الرسمية لها، على غرار:

-موقع مدينة ام-العوامد ( Meistermann, 1903, pp.69-71). الذي عثر بها نقشية تحمل الكتابة التالية: " الى السيد، ال"، الاله " ال" الذي انتشر قداسته في الفضاء السامي بشكل واسع، فهذه الجملة توجي على ان سكان ام العوامد قد قدموا له نذرا لهذا الاله، كما نعتز على اسم مدينة في الجهة الغربية للمتوسط ليست بعيدة عن موقع مدينة شرشال وهي قرت -الي التي تبعد على غرب مدينة الجزائر ب120 كلم التي تحمل مدلولوا واضحا و صريحا الى نوعية هذه المدن المهداة للآلهة ( Teixidor, 1968, pp.69-71).

كما نجد أسماء مدن مقدسة في الجهة الشرقية للمتوسط، على غرار المدينة أكثر شهرة في تاريخ أمم المشرق الأدنى القديم وهي المدينة التي ذكرت في الكثير من المصادر الأدبية و الاثرية و نعي بها مدينة "يروشليم"، التي كانت مدينة مقدسة منذ ازل بعيد و قد ذكرت رسائل تل العمارنة المصرية على اسم الملك الذي كان يحكمها الا و هو "ملك-صدق" الذي حسب الروايات في كتاب العهد القديم، قد نزل اليه سيدنا إبراهيم عليه السلام و ما يجب ان نبينه هو ان مدلول اسم المدينة المركب من " يرو او ايرو يعني المدينة في اللغة الاكادية و سالم او سالييم /شالييم تعني كذلك "قدس/قدش" ( Meistermann, 1903).

يظهر في مستوى اخر، ان النموذج الذي يمثل ملكية الالهة للمدن ، كدليل على انها " نذرت" لها و قامت من اجلها، نموذج لإله " بعل" السامي حيث تبين ان الكثير من المجتمعات المتوسطة للسواحل الجنوبية قد اشتركت في تقديسه و يشير مضمون اسمه على " الملكية"، بمعنى الاله الذي يملك كل شيء: الأرض و السماء و الانسان، فعند الكنعانيون هو مالك كل الموجودات و انتقل هذا الاسم عند

الأشخاص الذين تبوؤا مكانة مرموقة في المدينة و التي تظهر في الأسماء الانتروبونيمية Noms Anthroponymiques ، فالعلاقة المزدوجة بين الأرض التي قامت عليها المدينة ب: "الرب" كإله مالك Possesseur و الانسان الذي اخذ جزء من ملكية الرب ليسير هذه المدينة هي علاقة العبد بالرب، من جهة أخرى نلاحظ في نصوص النقيشات السامية لا نذكر اسم الاله الحقيقي للمدينة لاعتبارات طقسية، لان في اعتقاد الساميين، ان كشف الاسم الحقيقي للإله يعرضه لعملية استلاء لقواه و صفاته من طرف الالهة الأخرى. كما نجد في بونتيون الالهة الفينيقية أيضا شكل أخر صريح للإله المالك للمدينة لكنه بصيغة مزدوجة الذي يظهر مع الاله الفينيقي " ملك- قرت" الذي تحول مع انتشار نفوذ هؤلاء من اسم مركب الى اسم مفرد بعد اسقاط الحرف "ك" في المفردة الأولى و ترك الحرف "ق" في المفردة الثانية لان الحرف الأول قريب من الناحية الصوتية الى حرف القاف و هي العادة التي تميز بها الكلام السامي، فتحول الى "ملقارت" الذي يعني ملك القرية و"قرت" مثلما هو معلوم في الكراس اللفظي الفينيقي السامي يدل على لفظة المدينة و يعني "ملك المدينة"، فاذا تمعنا في انتشار هذا الاله خاصة السواحل الغربية للمتوسط، نجد ان مدينة - قادير/ قاديس - بالقسم الجنوبي لجزيرة ايبريا هي كذلك نموذج من نماذج المدن المقدسة اذا راعينا الاسم الثاني لها، حيث شهد قيام معبد لإله ملقارت على جزيرتها (Van Berchem, 1967, pp. 73-109) اضافة الى ذلك ان بعض التسميات للآلهة تحمل ليس اسما ولكن تشير الى صفاته مثلما هو الحال في نموذج اسم مدينة " رام -ل-يهو او رملهو-Ramalyahou أي نور الله

(Ganneau C, 1892, pp. 73-109)، فمن خلال هذه العينات، ندرك ان صفات القداسة للآلهة قد اضيفت على الحيز التي تشغله والطقوس التي تمارس في هذه الأماكن فرسمت لها هذه الصيغة.

### 3- المفهوم الايتيمولوجي للمكان المقدس:

نعني بالمكان المقدس ذلك السرح الذي اختاره الانسان لممارسة عقائده وطقوسه الدينية بحيث عادة ما يستوجب ان يخضع هذا المكان الى توفر جملة من الشروط تجعله مؤهلا لصفة القداسة، فعادة ما صادفت الانسان في الكثير من الأحيان، بحكم علاقته المستمرة بالطبيعة، بعض من تلك المشاعر القوية اتجاه مواقع تحمل في اعتقاده، بعض من مواصفات جعلتها أماكن مقدسة، ففي هذه اللحظة و في شعوره الأولي، اعتبر الانسان هذا المكان الخاص، مليء " بأرواح حسنة " ثم ما لبثت ان هذه الأماكن قد أصبحت في اعتقاده مقرا لنزول الالهة و الاستقرار بها.

لقد ساد هذا التحليل جليا عند أصحاب المدرسة الانتروبولوجية (Pritchard, 1965, p.6) الدينية الذين قالوا ان جذور هذا "الشعور" يعود الى فجر التاريخ و نجده قائما عند المجتمعات البدائية القديمة، كما حاول بعض علماء الأديان المقارنة تفسير ظاهرة " تقديس الأماكن "، فأسسوا نظريات اثار لها - الاب لاجرنج - (Lagrange, 1905, p.180) في احدى فقرات كتابه مستشهدا بفكرة - و.ر.سميت - حينما حدد " عناصر قداسة المكان "Eléments de sacralité" في توفر الأشجار و المجاري



المائية وفي خصوبة الأرض، او في مناطق صحراوية (Lagrange, 1905, p.180) التي اعتبرت هي الأخرى أماكن مقدسة بحكم قساوة طبيعتها وسكبتها. ما نلاحظه أيضا في ظاهرة ارتباط الالهة بالمكان التي أضفت له صفة القداسة قد تجسدت في انشاء معابد لها ظهرت على شكل مصطلح تداول في الوسط السامي بمفردة "بيت" فنجد صيغا كثيرة في الكتابات السامية (الفينيقية، العبرية، الآرامية...) على شاكلة أسماء طوبونيمية و أشهر هذه التسميات: بيت-ايل كما نجده على شكل اخر مثل "بت ال Beit-El/Betyله الذي تحول مع مرور الوقت الى عمود حجري (Du Mesnil, 1966, pp. 37-49) يرمز الى مكان ظهور هذا الاله و لهذا فإن كل المدن القديمة قد خصصت لها أماكن خاصة، تقام فيها شعائر دينية لإله، يعتقد انه مؤسسها او راعيها، كما يتضح في بعض الأمثلة للمدن المقدسة اصطحاب صفة "حرم" التي اشتهرت به مدينتين في التاريخ "القدس" بفلسطين او "يورشليم" وكذلك مكة بـ "بيت الله الحرام" في العهد الإسلامي كما نجد صيغة أخرى وهي "البيت العتيق" مثلما هو معروف عند المسلمين.

من جهة أخرى، لقد دلت النصوص القديمة على أهمية في انشاء هذه المعابد التي نذرت الى الالهة وكجزء هام من المؤسسات التي تقام بداخل اسوارها وحصونها هذه المدن، خاصة في المدن الفينيقية على غرار "معبد عشمون" بمدينة "صيدا او صيدون" بالسواحل الفينيقية اذ اكتشفت بها كتابات سامية فصيحة كما يوضحه مثال نص الملك «بد عشتروت» ملك مدينة "صيدا" الذي يشير بمعنى صريح حيث نقرا ما يلي:

### النص الاثري: (الشكل رقم 1)

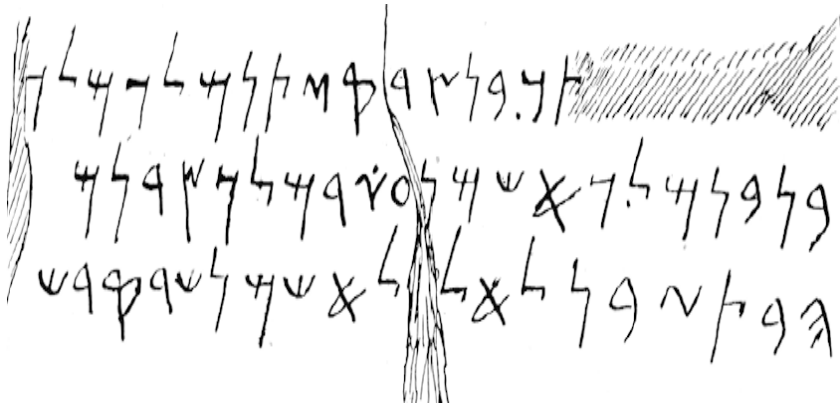
- س1 - [...] ب ن ص د ق ي ت ن م ل ك م ل ك  
 س2 - ب ن ب ن م ل ك ا ش م ن ع ز ر م ل ك ص د ن م  
 س3 - ه ب ت ي ب ن ل ل [...] ل ا ش م ن ش ر ص د ق (Berger, 1903, pp. 154-159.)

### ترجمة من الفينيقية الى اللغة العربية:

- س1 - [...] ابن صدق-يتن ملك الملوك  
 س2 - حفيد الملك عشمون -عزر ملك الصيداويين  
 س3 - هذا البيت بني لالهه لاشمون، فهو امير صالح

### المعنى التقريبي للنص:

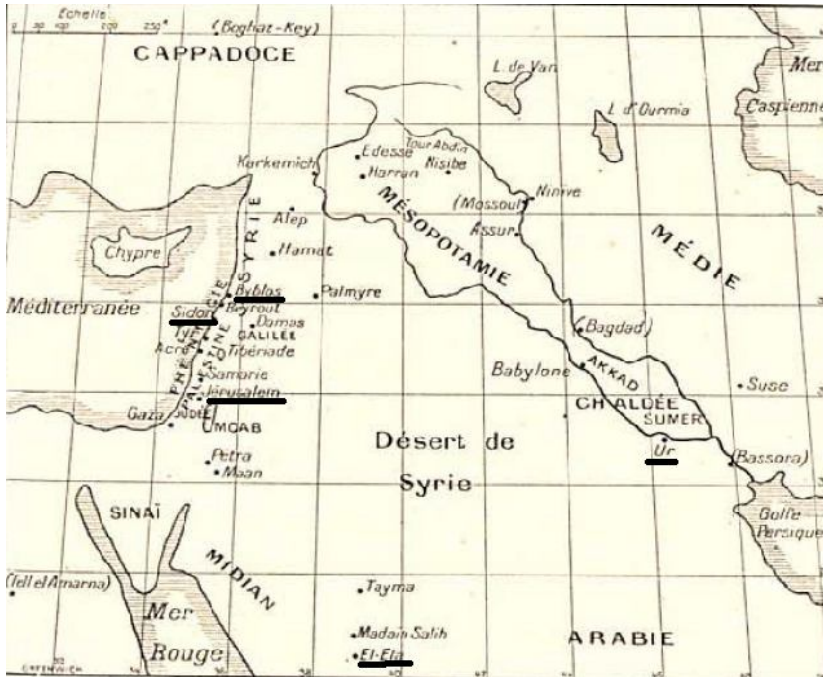
"قام ملك الملوك...ابن صدق -يتن، ملك مدينة صيدا و ملك الصيداويون، حفيد الملك عشمون-عزر، ببناء هذا البيت/ المعبد لالهه -عشمون-، انه امير (شر) صالح".



شكل (1) - نص فينيقي من معبد عشمون بمدينة صيدا

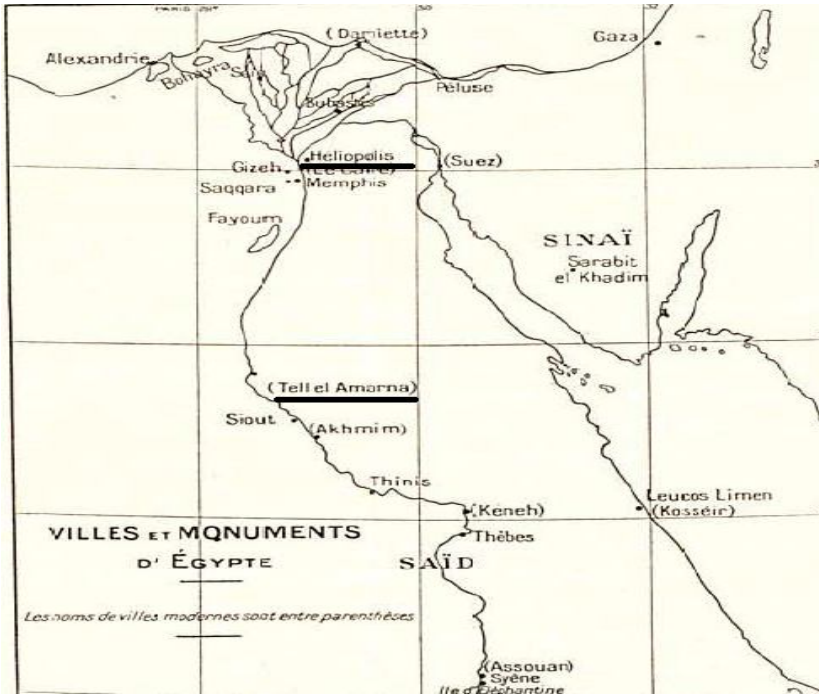
#### الخاتمة:

ان اضافة صفة القداسة للاماكن التي تشغله المدن جعلت هذه الأخيرة تأخذ هذه الابعاد الدينية بحكم ان الاله الذي يمثلها هو الراعي الرسمي لها و هذه النمطية في انشاء المدن في بعدها الديني جعلت الكثير منها تحمل صفات و مفهوم " مدن مقدسة" الذي اذا اردنا ان نحقق في أصول مكوناتها الأساسية نجدها مستمدة من فكرة تشخيص هذا الحيز الجغرافي المحدود التي تحتله المدينة في صورتها البدائية المتمثلة في روح المكان (Gaffiot, 1934, p.708) أي Genius Loci و الذي يستنبط عناصره من طبيعة المكان نفسه او كما يسميه الجغرافيون "جيومورفولوجية المكان Géomorphologie du lieu" من خلال عناصر طوبوغرافية المتمثلة في: أماكنها العالية و مرتفعاتها، خصوبة أراضيها، سهولة منافذها و وجودها قرب منابع المياه و ضفاف الأودية مما سمح للإنسان القيام فيها، لأنه رأى في هذه العناصر إشارات الهيئة قاداته في نهاية المطاف الى تأسيس معابد لها او ما سعي في النصوص السامية القديمة ببيت الاله او الالهة.

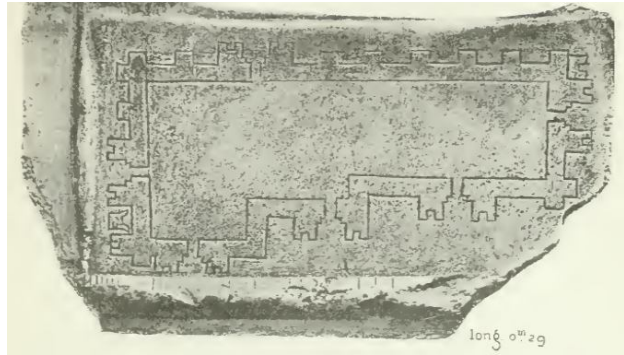


خريطة 1: انتشار المدن القديمة في الفضاء السامي. نقلا عن كتاب "لغات العالم"

Les langues du Monde, sous la direction de Maillet A. et Cohen Marcel, 1924, p.113



خريطة 2: انتشار المدن القديمة في الفضاء المصري، نقلا عن كتاب "لغات العالم"  
Les langues du Monde, Ibid, p.132



شكل 2: مخطط لشكل مدينة على صلاية حجرية في العهد الكلداني، نقلا عن كتاب: "كنعان":  
Canaan d'après l'exploration recente, par Père Hugues Vincent, Paris, 1914, p.87

- 1) Berger P. 1903. Découverte d'une nouvelle inscription du temple Eschmoun, à Sidon. *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Année 1903* 47-2 pp. 154-159.
- 2) Bonnet C. 1989. Le Dieu solaire Shamash dans le monde Phénico-Punique. In: *Studi Epigrafici E Linguistici sul vicino Oriente antico (SEL)*, n°6, 1989, p.98
- 3) Claval P. 1988. Vidal de la Blache. In: *Les géographes Français et le monde méditerranée. Annales de géographie, Année, 1988, Volume 97, Numéro 542*, p.390.
- 4) De Miroshedji P. 2013 . Les villes de Palestine de l'âge du Bronze ancien à l'âge du Fer dans leur contexte Proche-Oriental. In : Cécile Michel. *De la maison à la ville dans l'Orient ancien : la ville et les débuts de l'urbanisation. France. Archéologies et Sciences de l'Antiquité*, p.128, , *Cahier des Thèmes transversaux Ar-ScAn, ISSN 1953-5120*. <<http://www.mae.u-paris10.fr/arscan/De-la-maison-a-la-ville-dans-l.html>>. <halshs-01186386>
- 5) Du Mesnil Du Buisson . 1966. Le groupe des dieux El, Bétyle, Dagon et Atlas chez Philon de Byblos. In: *Revue de l'histoire des religions*, tome 169, n°1, 1966. pp. 37-49; doi : 10.3406/rhr.1966.8292 [http://www.persee.fr/doc/rhr\\_0035-1423\\_1966\\_num\\_169\\_1\\_8292](http://www.persee.fr/doc/rhr_0035-1423_1966_num_169_1_8292)
- 6) Gaffiot F., 1934. *Dictionnaire Latin-Français*. Hachette, Paris, p.708 et p.710.
- 7) Ganneau C. 1892. Nouvelles intailles à legendes sémitiques provenant de Palestine. *Comptes rendu des seances de l'Academie des Inscriptions et Belles Lettres*, 1892, pp.274-282.
- 8) Hugues Vincent. 1914. *Canaan d'après l'exploration recente*, Paris.
- 9) Lagrange M-J, (P).1905. *Etudes sur les religions sémitiques*, Paris, pp.112 et 180.
- 10) Maillot A. et Cohen M. 1924. *Les langues du Monde*, Paris.
- 11) Meistermann, B. 1903. Questions de topographie palestinienne. Le Lieu de la rencontre d'Abraham et de Melchisédech. Avec une appendice sur le tombeau de Sainte- Anne à Jérusalem. *Jerusalem*, pp.69-71.
- 12) Moreau L. 1854. *La cité de Dieu de Saint Augustin*, tome troisième, 3 eme édition, Paris.
- 13) Parrot A. 1937. Les fouilles de Mari. In: *Syria. Tome 18 fascicule 1*, pp. 54-84; in: doi <https://doi.org/10.3406/syria.1937>.
- 14) Pouilloux J. 1979. Ras Shamra 1929-1979, par la Mission Archéologique de Ras Shamra. *Lyon : Maison de l'Orient et de la Méditerranée*, 1979, 52 p. (Collection de la Maison de l'Orient. Hors série), [http://www.persee.fr/web/ouvrages/home/prescript/monographie/mom\\_0243-046\\_1979\\_rpm\\_3\\_1](http://www.persee.fr/web/ouvrages/home/prescript/monographie/mom_0243-046_1979_rpm_3_1)
- 15) Pritchard E.E. 1965. *Theories of Primitive Religion*, Oxford University Press
- 16) Van Berchem D. 1967. Sanctuaires d'Hercule-Melqart. Contribution à l'étude de l'expansion phénicienne en Méditerranée. In: *Syria. Tome 44 fascicule 1-2*, 1967. pp. 73-109; doi : 10.3406/syria.1967.5979 [http://www.persee.fr/doc/syria\\_0039-7946\\_1967\\_num\\_44\\_1\\_5979](http://www.persee.fr/doc/syria_0039-7946_1967_num_44_1_5979)
- 17) Teixidor J. 1968. Bulletin d'épigraphie sémitique (1968). In: *Syria. Tome 45 fascicule 3-4*, 1968. pp. 353-38